آثار الاحتلال السلجوقي للعراق على الاوضاع الاجتماعية في بغداد ٤٤٧ هـ –٥٩٠ هـ

المدرس الدكتور
رائد حمود الحصونة
جامعة ذي قار – كلية التربية

المدرس الدكتور
علاء كامل صالح العيساوي
جامعة البصرة – كلية الآداب

الملخص

السلاجقة قوة بدوية وهي فرع من قبائل الغز التركية. سَكنوا بلادَ ما وراء النهرِ بَعْدَ أنْ جاؤوا مِنْ تركستان، وبعد ذلك هَبَطوا إلى خراسان ونيسابور. ثم استطاعوا فيما بعد من زيادةتأثيرهم في بلاد فارس. وفي عهدِ الملكِ السلجوقي طغرلبك كانت لديهم مراسلات مع الخليفة العباسي القائم بأمر الله الذي دَعا السلطان السلجوقي للمَجيء إلى بغداد.

ظَهرَ السلاجقة كقوة جديدة اثرت على مسرح الأحداثِ السياسيةِ، فسيطرواَ على بغداد ودَخلوها في سنة٤٤٧ / ١٠٥٥م ، اذ خضع العراق الى سيطرة قوة اجنبية حلت محل سيطرة اجنبية احرى هي القوة البويهية التي سيطرت على العراق منذ ٣٣٤ / ٩٤٥ م. وقد استمرت سيطرة السلاجقة حتى سنة ٥٩٠ – ١١٩٣ م .

عَانى العراقيون خلال تلك الحقبةالتاريخية مِنْ تأثيراتِ الإحتلالِ السلجوقيوكانت الاحوال الاجتماعية من بين الاحوال التي تأثرت بذلك الاحتلال بشكل واضح ، فظهرت الكثير من الحالات السيئة في بغداد على وجه الحصوص والعراق بصورة عامة، ولعل من ابرز هذه الحالاتِ إنتشارَ الفسادِ، والنشاط المتزايد للعيارين ،فضلا عن ظهور الصراع الطائفي بين أبناءِ المجتمع العراقي وقد اجج السلاجقة هذا الامر بين الحين والآحر. وقد حاء هذا البحث ليسلط الضوء على الآثار الاجتماعية التي ترتبت على هذا الاحتلال.

The effects of the Seljuk occupation of Iraq on thesocial conditions in Baghdad, 447 AH - 590 AH

Abstract :

Seljuk is a nomadic force and a branch of Turkish Ghaz tribes. They Inhabited the country beyond the river after they had come from Turkistan, and then went down into Khorasan and Nissapur.They were able to extend their influence in Persia. In the reign of the Seljuk king they had correspondence with the Abbasid Caliph al-Kaem in the order of God, who called the Seljuk Sultan to come to Baghdad.

Emerged as a new force to the scene of political events, Seljuk had controlled of Baghdad and entered it in 447 AH / 1055 AD, So, Iraq was subjected to a foreign control, represented by Seljuk after it had been under the control of Albuehiin since 334 AH / 945 AD.The Seljuk occupation and control continued until 590 AH / AD 1193 AD.

In the era spanning 447 AH - 590 AH / 1055 AD --1,193 AD, Iraqis suffered many of the effects of Seljuk occupation, and social life was among areas which were clearly affected by the existence of this occupation, as many bad cases emerged, particularly in Baghdadi society and in the whole Iraq in general. Perhaps the most prominent of these cases was the spread of corruption, and the increased activity of " al ayareen", as well as the emergence of sectarian sedition between the sons of the same society that the Seljuk fed every now and then. The research come to shed light on the social consequences of the Seljuk occupation era abovementioned.

من المعروف ان العراق وقع تحت الاحتلال السلجوقي في الحقبة من ٤٤٧ هـ - ٥٩٠ هـ وقد عانى العراقيون كثيرا من اثار ذلك الاحتلال على كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها .

وحاولت الخلافة العباسية في تلك الحقبة التخلص من ذلك الاحتلال كما كافح الشعب كثيرا للتخلص من السيطرة السلجوقية وللتقليل من اثار ذلك الاحتلال وعلى الرغم من ذلك استمر احتلال السلاجقة لما يقارب قرنا ونصف خلف وراءه العديد من الاثار والنتائج السيئة .

تاثرت الاوضاع الاجتماعية في تلك الحقبة سياسة المحتل السلجوقي فظهرت عدد من الحالات السيئة في المجتمع العراقي عامة والبغدادي بصورة خاصة بتاثير ذلك الاحتلال الا انها مالبثت ان اختفت تدريجيا من المجتمع او قل ظهورها مع انتهاء الاحتلال السلجوقي ومن ابرز الاثار السيئة لذلك الاحتلال على الاوضاع الاجتماعية هو انتشار بعض مظاهر الفساد في المجتمع وازدياد نشاط العيارين وظهور الفتن المذهبية في المجتمع البغدادي وسنحاول في هذا البحث ان نكون موضوعين في تعاملنا مع تلك الظواهر لنعرف بدقة مدى علاقة الاحتلال السلجوقي بتلك الحالات والظواهر التي ركزنا عليها في هذا البحث .

١-دور السلاجقة في نشر بعض مظاهر الفساد

يتناول هذا المبحث بعض مظاهر الفساد التي تسربت الى المجتمع البغدادي ابان حقبة الاحتلال السلجوقي للعراق (٤٤٧ هـ - ٥٩٠ هـ) والممارسات اللاخلاقية التي اتبعها السلاجقة ضد الشعب مع التركيز على محاولات عامة الشعب والخلافة للقضاء على تلك المظاهر والوقوف بوجه المتسلطين السلاجقة للحد من انتشار الفساد في المجتمع العراقي الذي عرف على مر العصور بالتزامه بالاخلاق والعادات والتقاليد الاسلامية لهذا سنجد الرفض الشعبي في العراق لتلك الظاهرة غير المالوفة ومحاولاتهم القضاء عليها حتى لو طلب الامر المواجهة مع المحتلين .

ان من ابرز مظاهر الفساد التي حاول السلاجقة نشرها هي انتشار المواخير* والحانات في بغداد وهي اماكن للفسق والفجور ويبدو انها كانت منتشرة في بغداد حتى ان الخلافة العباسية امرت في سنة (٤٥٤ هـ) بتعطيل المواخير وازالتها (١) والسبب في ذلك كثرة الفساد حتى ان رجلا يهوديا قيل انه تغنى بالقران الكريم لكثرة ماشرب من الخمر (٢) .

وكما هي طبيعة المجتمع العراقي الرافض لمثل تلك الحالات فقد اجتمع الناس في بغداد سنة (٤٦٠ هـ)وانكرو كثرة المغنيات والخمور واجتمع معهم كثير من الائمة منهم ابو اسحق الشيرازي** واستغاثو الى الخليفة القائم بامر الله (٤٢٢ هـ – ٤٦٧هـ) وطالبو بهدم المواخير والحانات فوعدهم بمكاتبة السلطان السلجوقي الب ارسلان *** في ذلك وتفرقوا (٣)

ونجد من تلك الرواية ان الامر لم يكن بيد الخلافة العباسية بل بيد المحتلين السلاجقة وقد يكون ذلك مقتصرا على العقود الاولى من الاحتلال حيث كانت الخلافة غير قادره على الوقوف بوجه السلاجقة في ذلك الوقت الذي كان فيه السلاجقة في اوج قوتهم .

وعلى الرغم من تلك المطالبات الشعبية بهدم المواخير الا انها لم تجد نفعا فقد استمرت تلك الظاهرة ويبدو ان السلاجقة كانو مستفيدين منها اما محاولة لالهاء الناس وهذه في طبيعة وسياسة المحتل دائما او لوجود نفع مادي لهم وهذا ماسنراه لاحقا لذالك عادت المواخير ودور الفساد للعمل وعادت محاولات الخلافة للحد من تلك الظاهرة اذ يذكر ابن الجوزي(٤) ، ان الخليفة القائم بامر الله سنة (٤٦٤ هـ) امر بغلق المواخير وتتبع المفسدات ومنع بيع النبيذ ويبدو ان الامر كان اكثر حزما هذه المرة حيث كبس الدور التي كان يرتادها المفسدون وهربت المفسدات (٥) الا ان القضاء على تلك الظاهرة نهائيا وهدم تلك المواخير كليا كان يتطلب موافقة السلاجقة اذ ارسل الخليفة القائم بامر الله للسلطان عضد الدولة طالبا منه قلع تلك المواخير (٦) وهذا كما ذكرنا سابقا ليس من مصلحة السلاجقة .

وتواصلت حملات الخلافة العباسية في تتبع دور الفساد ففي سنة (٤٦٧ هـ) اخرج الخليفة المقتدي بامر الله (٤٦٧ هـ – ٤٨٧ هـ) المفسدات من الخواطي من بغداد وشهر بهن امام الناس بعد ان امرهن ان ينادين على انفسهن بالعار والفضيحة (٧) كذلك قام بتخريب الخمارات ودور الزواني والمغاني وامر باسكانهن الجانب الغربي (٨) ، وفي نفس السنة تقدم فخر الدولة الى المحتسب في الحريم بنفي المفسدات وبيع دورهن وامر باشهار جماعة منهن على الحمير مناديات على انفسهن بالعار (٩) غير ان رغبة السلاجقة ومصلحتهم كانت تستوجب استمرار تلك الحالة وكما ذكرنا سابقا ان بعض السلاجقة وموظفيهم كانو منتفعين من ذلك حتى ان الخليفة المقتدي بامر الله خاطب الشحنة صاحب الشرطة السلجوقي سنة(٤٦٩ هـ) لتعويضه الف دينار مقابل ازالة المواخير ودور الفسق في بغداد حيث كانت تلك اقطاعه وامتنع الشحنة قائلا : هذا يحصل منها الف وثمانمائة دينار فكوتب نظام الملك **** الوزير السلجوقي بما جرى فعوض الشحنة من عنده وكتب بازالتها (١٠)

ويبدو من خلال هذه الرواية ان العديد من دور الفسق والفجور كانت لمسؤولين في السلطة السلجوقية وهي بلاشك تدر عليهم ارباحا طائلة .

واستمرت محاولات الخلافة العباسية للحد من انتشار مظاهر الفساد اذ امر الخليفة المقتدي بامر الله سنة (٤٧٩ هـ) باراقة الخمور وهدم الملاهي والدور التي يلجا اليها المفسدون (١١) ولابد من ان نذكر هنا ان العديد من الخلفاء العباسين كانوا جادين في الحد من انتشار الفساد ولعل في مقدمتهم حينذاك الخليفة المقتدى بامر الله الذي نفى المغنيات في بغداد (١٢) وحارب الفساد (١٣) والخليفة المسترشد بالله (٥١٢ هـ –٥٢٩هـ) الذي يوكد ابن الجوزي (١٤) انه تقدم باراقة الخمور بسوق السلطان سنة(٥١٤هـ) الا ان الامور لم تكن دائما بايديهم فالسلاجقة المحتلون هم المسيطرون والمتحكمون في امور الدولة كافة ولعل من ابرز السلاطين السلاجقة الذي شهدت فترة حكمه العديد من مظاهر الفساد السلطان

مسعود الذي كان حريصا على بذل الاموال من خزينة الدولة على مظاهر الفساد والترف حتى انه ومن كثرة انفاقه على اهل الطرب تعرض الى انتقاد وتوجيه من قبل احد الوعاظ وهو ابن العبادي الذي خاطب السلطان مسعود مباشرة سنة (٥٤١هـ) في جامع السلطان وطالبه بازالة مايسمى بمكس البيع *****قائلا له ((ياسلطان العالم انت تهب مثله لمطرب ومغن بقدر هذا الماخوذ من المسلمين فهبه لي وتحسبني ذلك المطرب واتركه للمسلمين وافعله شكرا لله لما انعم به عليك من بلوغ الاغراض)) (١٥) ((ثم اشار السلطان مسعود بيده اني قد فعلت)) (١٦) ولعل هذه الرواية تبين لنا مدى انفاق السلطان مسعود على المطربين لديه من اموال هي في الاصل من خزينة بيت مال المسلمين في حين كان من الممكن انفاقها لما هو فيه خير للمسلمين في الوقت الذي كان فيه يستقطع هذا السلطان اموالا ضخمة من التجار والمواطنين تحت مسميات عديدة من الضرائب .

ولعل من ابرز مظاهر البذخ والترف والفساد في فترة الاحتلال السلجوقي وخاصة في ايام السلطان مسعود هو ماكان يسمى بـ ((تعليق بغداد)) والمقصود به ابرز مظاهر الفساد في بغداد في مناسبات معينة لدى السلاجقة كحفلات الزواج والختان او غيرها وعادة مايتم تعليق بغداد اياما معدودة حيث يتم فيها شرب الخمور علنا وضرب الطبول والغناء الفاجر وغيرها من الامور غير الاخلاقية وغير المرغوب بها اجتماعيا وقد تكررت تلك المظاهر كثيرا في تلك الحقبة ففي سنة (٥٣٢ هـ) تزوج السلطان مسعود فأصدر اوامره بان تغلق بغداد سبعة ايام وذلك في السادس عشر من جمادي الاولى وقد شهدت تلك الايام السبعة الكثير من مظاهر الفساد مثل شرب الخمر ظاهرا وضرب الطبول وغيره (١٧)

وفي نفس السنة ايضا تزوج مرة اخرى السلطان مسعود وهذه المرة من ابنة عمه سعدة ****** فعلق بغداد ثلاثة ايام (١٨)

وقد تكررت تلك الحالة عدة مرات ورافها بالتاكيد ماذكرناه من امور منكرة وكان تعليق بغداد في تلك المرات لمناسبات مختلفة مثل ولادة طفل للسلطان مسعود او

خطبة او زواج لاحد السلاطين او أي مناسبة سعيدة لهم (١٩) حتى ان حدث في سنة (٥٣٤ هـ) ان ((ولدت ابنة قاروت******* من السلطان مسعود فغلقت بغداد وظهرت المنكرات فبقيت ثمانية ايام فمضى ابن الكواز الى باب ابن قاروت وقال ان ازلتم هذا والا بتنا في الجوامع وشكونا الى الله تعالى)) (٢٠)

وقد وصف الاصفهاني حب السلطان مسعود للمنكرات ونشر الفساد وسعيه في ذلك واصفا حاله عند قدومه الى بغداد في احدى السنوات قائلا ((واقام السلطان ببغداد تلك الشتوه متوفرا على نيل الطرب وقضاء الشهوة مستهاما بادناء الدنان واقتناء القيان وتقريب المساخر وابعاد ذوي المفاخر متكلا على السعادة في دفع الاعداء فانه لم يزل كاسمه مسعودا (٢١)

عموما اتسمت حقبة حكم السلطان مسعود بالسعي لنشر الفساد من قبل السلاجقة خاصة ماكان يسمى بـ((تعليق بغداد)) والتي اشرنا سابقا الى ماتضمنته من امور لا اخلاقية

وقد تقدم الخليفة المقتفي بامر الله (٥٣٢ – ٥٥٥ هـ) بعد موت السلطان مسعود سنة (٥٤٧ هـ) باراقة الخمور من مساكن اصحاب السلطان بعد ان وجد الكثير من الخمر والمنكرات في دورهم (٢٢)

<u>٢–العيـــــارون :</u>

العيار في اللغة العربية هو الشخص الكثير التطاوف في الارض (٢٣) والتعريف الاصطلاحي المتفق عليه ان العيار هو الشخص الذي يخل بالنظام والامن ويحدث الفوضى والاضطراب في البلد (٢٤) ولم يكن ظهور العيارين في المجتمع العباسي افرازا من افرازات الاحتلال السلجوقي فالعيارون بلا شك ظهروا قبل حقبة الاحتلال السلجوقي للعراق بفترة طويلة ولكن في فترة الاحتلال السلجوقي لاحظنا تزايد لنشاطهم وتعود بعض الاسباب في ذلك الى اهمال الناحية الامنية من قبل المحتلين السلاجقة ومما هو معروف ان نشاطهم يزداد في فترات الاختلال الامني اذ يكون نشاطهم دليلا على تردي الاوضاع الامنية فهم ينشطون في الاوضاع غير

المستقرة (٢٥) والتي يكون فيها الحكام على درجة من الضعف بحيث لايكونوا قادرين على احلال النظام ، و يذكر ابن الجوزي ان في سنة(٤٥٦ هـ)((فسدت الاعاريب في سواد بغداد واطرافها وحملت العوام السلاح لقتالهم فكان ذلك سببا ادى الى كثرة العيارين وانتشارهم في محرم من تلك السنة))(٢٦)

اذن ان مافرزه الاحتلال السلجوقي من فوضى وتزايد اعمال العنف والتدخل في شؤون البلاد خلق ظروفا جيدة مناسبة لتكاثر العيارين اذ ازدادت جراءتهم فقاموا في شعبان سنة(٤٩٣ هـ) بسرقة ثياب قاضي القضاة ابي عبدالله الدمغاني (٢٧) وفي نفس السنة هرب احد العيارين وقد كان اعورا وخرج قاصدا الدجيل ليخفي حاله فصادف ان خادما للخليفة خرج للصيد وكان يتطير بالعور فلقيه اعوران فتطير بهما فشاهد غلمانه هذا العيار فصاحوا به هذا الثالث فظن العيار انهم قد عرفوه فدخل مزرعة فارتابوا بهروبه وجدوا في طلبه فاخذوه ومعه سيف تحت ثيابه فسالوه عن حاله فعرفوه فقتلوه (٢٨)

وقد تفاقم امر العيارين في نهاية القرن الخامس الهجري حتى ان الشرطة عجزت عن السيطرة على الجانب الغربي لاستيلاء العيارين عليه (٢٩) اضافة الى عجز الشحنة من العيارين ماعدا الضعفاء منهم (٣٠) .

ونتيجة للسياسة السلجوقية الاقتصادية الخاطئة وفرضها الضرائب المتكررة والعديدة على التجار وعامة المواطنين ازداد الغلاء في بغداد وعدمت الاقوات مما ادى الى تفاقم امر العيارين حتى قاموا بنهب الدور نهارا وجهارا دون ان تتمكن الشرطة من منعهم من ذلك (٣١) .

وقد تكرر تمرد العيارين ببغداد سنة (٥١٤ هـ) واخذوا الدور جهرا (٣٢) حتى انهم اخذوا زوارق منحدرة من الموصل وفتكوا باهل السواد (٣٣) .

واستمر العيارون باستغلال الاوضاع السياسية والاقتصادية وازدادت عمليات النهب والقتل خاصة في الثلث الاول من القرن السادس الهجري (٣٤) وعلى الرغم من محاولة الخليفتين العباسيين انذاك المسترشد بالله والمقتفي لامر الله اللذين تتبعا

امر العيارين ونهضا لقمعهم (٣٥) كذلك تصدى الخليفة المقتفي لامر الله العيارين حتى عام(٥٣ هـــ) وقام باعدام احد عشر عيارا وصلبوا في الاسواق (٣٦)

وعلى الرغم من محاولات الخلافة للحد من نشاط العيارين الا انهم قد ازدادوا نشاطا وان تلك المحاولات لم تجد نفعا طالما ان السلاجقة موجودون اذ استغل العيارون سوء ادارة السلاجقة للاوضاع العامة والاهم من ذلك ان العيارين كانوا يحتمون ببعض المسؤولين السلاجقة وبالامراء لذلك كانوا يعملون جهرا دون خوف ويقومون باعمالهم من سلب وعنف وقتل تحت حماية بعض المسؤولين السلاجقة ففي عام(٥٣٦ هـــ) ظهر من العيارين ماحير الناس اذ احتمى كل قوم منهم بامير فاخذوا الاموال وظهروا مكشوفين وظلوا يكبسون الدور ويدخلون الحمامات وقت السحر فياخذون الاثواب (٣٧)

ويبدو ان قدوم السلطان مسعود الى بغداد كان يعني تزايد اعمال السلب والنهب من قبل العيارين اذ يذكر ابن الجوزي ان السلطان مسعود قدم بغداد سنة (٥٣٨ هـــ) فنزل اصحابه في دور الناس وتضاعف فساد العيارين بدخوله وكثرت الكبسات وكان اللصوص يمشون بثياب التجار في النهار فلا يعرفهم انسان حتى ياخذوه فاخذت حرف الصيارفة وضاقت المعايش (٣٨)

كذلك كان للعيارين عيون على الناس من النساء والرجال يطوفون الاسواق ومحال الصيرفة والجوهريين يبلغونهم اذا ما ابتاع شخص شيئا فياخذوا ما معه (٣٩)

غير ان الاشارة المهمة التي اوردتها بعض المصادر التاريخية تؤكد وجود علاقة مباشرة بين بعض المسؤولين السلاجقة وبعض العيارين الذين كانوا يحتمون بهولاء السلاجقة ويتقاسمون معهم المبالغ التي يحصلون عليها اذ تذكر تلك المصادر ان امر العيارين قد ازداد في سنة(٥٣٨ هـــ) بسبب ابن الوزير وابن قاروت اخي زوجة السلطان مسعود وابن عمه لانهما كان يتقاسمان المحصول مع العيارين (٤٠) حتى ان النائب في شحنكية بغداد ايدكز المعروف باقدامه حضر الى السلطان مسعود الذي قال له : ان السياسة قاصرة والناس قد هلكوا فقال له ايدكز : ياسلطان

العالم اذا كان عقيد العيارين ولد وزيرك واخو امرائك فاي قدرة لي على المفسدين وشرح له الحال فقال له السلطان مسعود : الساعة تخرج وتكبس عليهما اينما كانا وتصلبهما فان فعلت والا صلبتك (٤١) فاخذ خاتمه وخرج فكبس على ابن الوزير فلم يجده فاخذ من كان عنده وكبس على ابن قاروت فاخذه وصلبه وهرب ابن الوزير وشاع في الناس الامر ورئي ابن قاروت مصلوبا مما ادى الى هروب معظم العيارين والقبض على من بقي منهم (٤٢) يتبين لنا مما سبق ان للسلاجقة دورا كبيرا ومؤثرا في نشاط العيارين ولعل العامل الاكبر في ذلك يعود الى مقاسمة البعض منهم للعيارين فيما يربحونه مما اعطى للعيارين دافعا كبيرا وامانا في مزاولة اعمالهم ومهما كان من امر السلطان مسعود والذي امر باعدام هؤلاء العيارين ومن يقف وراءهم من السلاجقة فذلك لايعفيه من المسؤولية ولايبرء ساحته فمن المحتمل جدا انه كان يعرف مسبقا بمساندة اقرباءه والمسؤولين الاخرين من السلاجقة للعيارين الا ان افتضاح امرهم وانتشار ذلك الخبر بين العامة والخوف من ثورة الناس على السلاجقة قد جعله في موقف محرج اجبره على اتخاذ ذلك القرار .

٣-الفتن المذهبيه :

من المعروف ان سياسة المحتل الاجنبي دائما هي السعي لاضعاف وحدة الشعب وتماسكه لكي يضمن بقاءه قويا ومن اهم اساليب اضعاف الشعب خلق فتن مذهبيه بين افراده وقد سعى السلاجقة الى خلق الفتن بغية اضعاف المجتمع العراقي وتفرقته ذلك المجتمع الذي عرف على مدى التاريخ الطويل بتماسكه وتالفه وان حدثت بعض الفتن الطائفيه بفعل المحتل فهي ماتلبث ان تنتهي ويعود العراقيون اخوة متحابين .

لذلك فان المجتمع العراقي في العصر العباسي المتاخر شهد ظاهرة خطيرة تتمثل في حدوث بعض حالات الفتن والتناحر المذهبي والذي وصل احيانا الى حد

الاقتتال بين افراد المذاهب المختلفة كل ذلك بفعل الاحتلال السلجوقي سواء بالتحريض على ذلك او من خلال سياسة التفرقة المتبعة من قبل السلاجقة

ومن المعروف ان السلاجقة اعتنقوا المذهب السني وبداوا بتحريض السنة ضد اخوانهم الشيعة وفي بعض الاحيان قاموا بتحريض بعض المذاهب السنية ضد المذاهب السنية الاخرى .

ولم تكن الفتن المذهبية وليدة الاحتلال السلجوقي بل كانت موجودة ايضا ابان الاحتلال البويهي للعراق وفي بداية الاحتلال السلجوقي للعراق تجددت وبشكل علني اذ اندلعت الفتنة بين السنة والشيعة عام (٤٤٧ هـ) ومن ثم بين الاشاعرة والحنابلة على حساب الاشاعرة الذين لم يعد لهم ان يشهدوا الجمعة ولا الجماعات (٤٤) .

وفي سنة (٤٤٨ هـ) الزم الشيعة بترك عبارة حي على خير العمل في الاذان وامروا ان ينادي مؤذنهم في اذان الصبح بعد حي على الفلاح الصلاة خير من النوم مرتين وازيل ماكان على ابواب المساجد من كتابة محمد وعلى خير البشر (٤٥).

واسهمت تلك الاوامر في اشعال نار الفتنة فدخل بعض المنشدين من باب البصرة الى باب الكرخ ينشدون بالقصائد التي فيها مدح الصحابة (٤٦) وهم فرحين بزوال الحكم البويهي الذين كانوا يتبنون المذهب الشيعي .

وقد تجاوزت محاولات السلاجقة لاحداث فتن طائفية حد التحريض حتى وصلت الى حد الامر بالقتل اذ امر رئيس الرؤساء سنة (٤٤٨ هـ) الوالي بقتل ابي عبدالله بن الحلاب متهما اياه بالغلو في التشيع فقتل على باب دكانه وهرب ابو جعفر الطوسي ونهبت داره (٤٧)

وفي صفر من سنة (٤٤٩ هـ) كبست دار ابي جعفر الطوسي مرة اخرى واخذ كل ماوجد في داره من دفاتر وكرسي كان يجلس عليه (٤٨) وقد ادى ذلك الى غضب الشيعة بالكرخ (٤٩).

وتواصلت الفتن التي يغذيها الاحتلال السلجوقي فحدثت فتنة اخرى بين اهالي الكرخ واهل السنة سنة (٤٥٧ هـ) وكان المسؤول عنها صاحب الشرطة وكذلك

اصحاب السلطان الذين وصفهم ابن الجوزي بانهم المسؤولون عن الفتنة وارهاب العامة (٥٠)

وعلى الرغم من ان الخلافة تمكنت من تهدئة الاوضاع بعد ان قام الخليفة باستدعاء الطاهر ابي الغانم المعمر بن عبدالله نقيب الطالبيين وانكر عليه مافعله اهل الكرخ من افعال اغضبت اهل السنة ثم طمان الخليفة اهل السنة وهداهم بعد ان افشل محاولات اصحاب السلطان من استغلال الوضع لتوسيع فجوة الخلاف (٥١)

كما حدثت فتنة اخرى سنة (٤٦٥ هـ) بين اهل الكرخ وباب البصرة والقلائين احرق فيها العديد من المحال وقتل خلق كثير (٥٢)

وواصل السلاجقة سياستهم في اثارة المشاعر الطائفية رغبة منهم في احداث الفتن ففي سنة (٤٧٠ هـ) كتب نظام الملك الوزير السلجوقي الى ابي اسحق الشيرازي كتابا حاول فيه البداية ان يؤكد على سياسة السلاجقة في عدم التفرقة بين المذاهب الاسلامية تجنبا للفتنة وان المدرسة النظامية********* اسست على هذا الاساس الا انه وفي نفس الكتاب نجد تناقضا في اقواله وتكذيبا لا دعائه في عدم التفرقة اذ اكد في ذلك الكتاب على افضلية مذهب الامام احمد بن حنبل مدعيا ان هذا المذهب هو السائد في بغداد مما ادى الى حدوث فتنة جديدة (٥٣)

ومما جاء في هذا الكتاب : ((ان سياسة السلطان ان لا نميل في المذهب الى جهة دون جهة ونحن بتاييد السنن اولى من تشييد الفتن ولم نتقدم ببناء هذه المدرسة (النظامية) الا لصيانة اهل العلم ولمصلحة لا للاختلاف وتفريق الكلمة ومتى جرؤت الامور على خلاف ما اردناه من هذه الاسباب ليس الا التقدم بسد الباب وليس في الامكنة الابيان على بغداد ونواحيها ونقلهم عن ماجرت عليه عاداتهم فيها فان الغالب هناك وهو مذهب الامام احمد بن حنبل رحمة الله عليه .....)) (٥٤)

نجد من خلال هذا الكتاب ميل واضح من السلاجقة نحو الحنابلة على حساب بقية المذاهب وهذا مما لاشك فيه يؤدي الى حدوث تحسس من انصار المذاهب الاسلامية الاخرى من شانه ان يسهم في حدوث فتن لاداعي لها وهذا ماحدث فعلا

بعد صدور هذا الكتاب اذ فرح الحنابله به ولما كان اليوم الثاني من شوال من تلك السنة(٤٧٠ هـ) خرج من المدرسة متفقه يعرف الاسكندراني ومعه بعض من يؤثر الفتنة الى سوق الثلاثاء فتكلم بتكفير الحنابلة فرمى بالاجر فدخل الى سوق المدرسة واستغاث باهلها فخرجو معه الى سوق الثلاثاء ونهبو بعض ما كان فيه ووقعت الفتنة (٥٥)

ثم قام اهل سوق الثلاثاء بالدخول الى سوق المدرسة بعد ان غلبوا العوام وقتلوا مريضا وجدوه في غرفة وخاف مؤيد الملك على داره فارسل الى العميد ابي نصر يعلمه الحال فنفذ اليه بعض من جيشه الذين دفعو العوام وقتلوا بضعة عشر منهم (٥٦) .

ولعل اسباب هذه الفتنة الكبيرة تؤكد لنا وبشكل واضح الاسلوب الذي تنتهجه السلطة السلجوقية لاحداث الفتن بين المذاهب الاسلامية المختلفة .

واستمرت هذه السياسة في تلك المدرسة اذ ارسل الوزير نظام الملك سنة (٤٧٥ هـ) احد الوعاظ ليحاضر في المدرسة النظامية فتعرض لمعتقدات الناس مما ادى الى حدوث فتنة اخرى واعتداءات بين انصار المذاهب المختلفة (٥٧) .

وقد حاولت الخلافة العباسية ان تقف بوجه من يحاول اثارة الفتن ففي عام (٤٨٢ هـ) كان هناك فتنة كبيرة ادت الى مقتل الكثير وتهاون السلاجقة في اخماد هذه الفتنة تماشيا مع اهدافهم مما ادى الى تدخل الخليفة المقتدي بالله الذي استعان بصاحب الحلة صدفة ابن مزيد********** للقضاء عليها (٥٨) .

وفي القرن السادس الهجري كانت حلقات المناظرة بين وعاظ المذاهب المختلفة وهي التي سمح باجراءها السلاجقة في جامع القصر كانت وسيلة اخرى لاحداث الفتن المذهبية فيما لو خرجت تلك المناظرات عن اطارها ومفهومها الصحيح

اشتهر جامع القصر في تلك الحقبة بكثرة المناظرات التي غالبا مايحضرها اشهر الوعاظ ولمختلف المذاهب (٥٩)

وكان من بينهم بعض الوعاظ المتعصبين الذين غالبا مايتسببون باحداث فتن طائفية مثل الحسن بن ابي بكر النيسابوري الذي كان يجلس سنة (٥٣٨ هــ) في جامع القصر وجامع المنصور ويلعن الاشعري جهرا (٦٠)

ومحمد الطوسي الذي جلس في جامع المنصور في الخامس من محرم سنة (٥٦٩ هــ) وقال بحضور عدد كبير من الناس ((ان ابن ملجم لم يكفر بقتل الامام علي عليه السلام مما ادى الى ثورة الناس عليه فرموه بالاجر حتى اخرجوه من المجلس)) (٦١)

ومما لاشك فيه ان تساهل السلاجقة بشان تلك المجالس وسماحهم بمثل هؤلاء الوعاظ المتعصبين كانت سبيلا لاحداث نزعات طائفية بين ابناء المجتمع العراقي الذين مايلبثون بعد كل فتنة ان يعودوا الى وحدتهم وتماسكهم مدركين ان قوتهم في وحدتهم وان المحتلين دائما يسعون الى تمزيقهم واضعافهم من خلال اثارة مثل تلك النزعات والخلافات الطائفية

الهوامــــش

* المواخير هي جمع ماخور وهو مجلس الريبه ومجمع اهل الفسق والفساد وبيوت الخمارين .الزبيدي : تاج العروس ،ج٣،ص٥٣٤ .

١. ابن الجوزي : المنتظم ،ج٨ ، ص٢٢٥ .

٢. المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٢٢٥ .

**اسحاق الشيرازي من الوعاظ المشهورين ،واول من اسند اليه التدريس في المدرسه النظاميه ببغداد عند تأسيسها من قبل نظام الملك،كان عالما له حلقات درس كثيرة في المدرسه المذكورة وغيرها.ابن خلدون:تاريخ ابن خلدون ،ج٣،ص٤٦٩ .

*** ابو شجاع محمد بن جفري الملقب عضد الدولة الب ارسلان وهو ابن اخ السلطان طغرلبك السلجوقي نتولى السلطنة وتوفي سنة (٤٥١ وقيل ٤٥٢هــ) ونقل الى مرو فدفن في مدرسة فيها .ابن خلكان : وفيات الاعيان ،ج٥ ،ص٦٩.

٣. ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤٠٣ _ ٤٠٤ .

٤. ابن الجوزي – المنتظم ، ج٨ ، ص٢٧٢ .

٥. المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٢٧٢.

٦. المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٢٧٢.

٧. ابن كثير : البداية والنهاية ج١٢ – ص٩٦ – الخضري محمد :محاضرات تاريخ الامم الاسلامية ، ص٤٩٧.

٨. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص٩٦ .

٩. ابن الجوزي : المنتظم ، ج٨ ، ص٢٩٣.

****ابو علي الحسن بن علي بن اسحاق الطوسي وزير كبير وزر للسلطان الب ارسلان ثم لابنه ملكشاه، وكانت وزارته عشرون عاما قتل سنة ٤٨٥ه بقرب نهاوند .الذهبي : سير اعلام النبلاء ،ج١٩ ، ص ٩٤.

١٠.المصدر نفسه ،ج٨ ص٢٩٣.

١١.المصدر نفسه :ج٩ ،ص٢٦.

١٢.السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص٤٢٣.

١٣.الذهبي : العبر في خبر من غبر ، ج٨ ، ص٤٨ ؛ الشريف : العالم الاسلامي في العصر العباسي ، ص٦٢٩ .

١٤.المنتظم ،ج٩ ، ص ٢١٨.

*****مكس البيع ضريبة فرضتها الدولة على جميع البضائع الموجودة في الاسواق وهي تشمل اسواق الغنم والخيل والجمال والسمك وغيرها انظر – القزاز – محمد صالح – الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الاخير (٥١٢ هـ – ٦٥٦ هـ) – مطبعة القضاء – النجف – ١٩٧١ – ص١٣٤ .

١٥.ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠ ، ص١٢٠ ؛ سبط ابن الجوزي : مراة الزمان في تاريخ الاعيان ،ج٨ ، ص١٨٨ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص٤٣٨– ٤٣٩.

١٦.ابن الجوزي: المنتظم ، ج١٠ ، ص١٢٠ .

١٧.المصدر نفسه ، ج١٠، ص٧٢

****** هي سعده بنت السلطان بركيا روق السلجوقي ،ابنة عم السلطان مسعود وزوجته،ذكر انها تزوجت مبكرا وتوفيت بهمدان .الذهبي:تاريخ الاسلام، ج٣٦،ص٢٨١ .

١٨.المصدر نفسه ، ج١٠ ، ص٧٢.

١٩.المصدر نفسه ، ج١٠ ، ص٨٤,٨٥,٨٩,١٠٣,١٤٨ .

******* قاروت اخو السلطان السلجوقي الب ارسلان وكان يتولى كرمان . الذهبي : تاريخ الاسلام ،ج٣٠ ،ص ٢٨٦.

******** ابن الكواز هو عمر بن احمد بن الكواز الزاهد ،من ساكني منطقه الجعفرية ببغداد ،كان من عباد الله الصالحين ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ،وله اصحاب يوافقونه على ذلك ، وكان واعظا للسلطان السلجوقي مسعود . الذهبي :سير اعلام النبلاء ،ج٢،ص٤٠٢ .

٢٠.المصدر نفسه ، ج١٠ ، ص٨٤.

٢١.الاصفهاني : تاريخ دولة السلجوق ، ص١٧٦.

٢٢.ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، مج ٩ ، ص٢٩١ .

٢٣.ابن منظور : لسان العرب ، ج٥ ، ص٣٠١ – الزبيدي: تاج العروس ،ج٣ ص٤٣٤.

٢٤.امين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، ص٩٧ .

٢٥.المصدر نفسه،ص٩٧.

٢٦.المنتظم ،ج٨ ، ص٢٣٤.

٢٧.المصدر نفسه،ج٩ ،ص١١٣.

٢٨.المصدر نفسه ، ج٩ ، ص١١٣.

٢٩.المصدر نفسه ، ج٩ ، ص١٣٧.

٣٠.المصدر نفسه ، ج٩ ، ص١٣٧.

٣١.الكتبي:عيون التواريخ،ج١٢ ،ص٨٣ ؛ ابن كثير: البداية والنهاية ،ج١٢ ، ص١٥٧ .

٣٢.الكتبي : عيون التواريخ ،ج ،١٢ ص١٠٤.

٣٣.ابن الجوزي : المنتظم ،ج٩ ، ص٢١٦ .
٣٤.المصدر نفسه ،ج٩ ، ص٢٢٤ ، ج١٠ ص٥٨ –٥٩ ، ٦٨ ، ٨٦ ؛ ابن الاثير : الكامل ،ج٩ ، ص٢٥٥-٢٥٨.
٣٥.ابن الطقطقي : الفخري في الادب السلطانية والدول الاسلامية ،ص٣١٠ ؛ القزاز – الحياة السياسية ص٧٠ – فوزي : تاريخ العراق في عصور الخلافة العربية الاسلامية ٦٥٦هـ ص٣٣٥.
٣٦.ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٠- ص٧٢ .
٣٧.المصدر نفسه ،ج١٠ ، ص٩٥.
٣٨.المصدر نفسه ، ج١٠، ص١٠٥-١٠٦.
٣٩.المصدر نفسه ،ج١٠ ،ص١٠٦.
٤٠.المصدر نفسه ، ج١٠ ، ص١٠٦ ؛ ابن الاثير : الكامل ، مج ٩ ، ص٢٩١ ؛ حسين امين – تاريخ العراق ، ص١١١ .
٤١.ابن الاثير : الكامل ، مج ٩ ، ص٢٩١ .
٤٢.المصدر نفسه ،مج ٩ ، ص٢٩١-٢٩٢ .
٤٣.ابن كثير : البداية والنهاية ،ج١٢ ، ص٥٨.
٤٤.المصدر نفسه ، ج١٢ ، ص٥٨ .
٤٥.المصدر نفسه ، ج١٢ ، ص٦٠.
٤٦.ابن الجوزي: المنتظم ،ج٨ ص١٧٢ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص٦٠ .
٤٧.ابن الجوزي : المنتظم ،ج٨ ، ص١٧٢-١٧٣ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ،ج١٢، ص٦٠.
٤٨.ابن الجوزي : المنتظم ،ج٨ ، ص١٧٩.
٤٩.المصدر نفسه ، ج٨ ، ص١٧٩.
٥٠.المصدر نفسه، ج٨، ص٢٣٩-٢٤٠.
٥١.المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٢٤٠.

٥٢.المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٢٧٧.

*********المدرسة النظامية مدرسة من اهم مدارس بغداد انشأها الوزير نظام الملك وزير السلطان السلجوقي ملكشاه بن الب ارسلان ، وتم التدريس فيها سنة ٤٥٩ ه . ابن الاثير : الكامل،ج ١٠ ،ص٥٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية،ج١٢ ،ص١١٤.

٥٣.المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٣١٢ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص٩٣.

٥٤.ابن الجوزي : المنتظم ، ج٨ ، ص٣١٢.

٥٥.المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٣١٢.

٥٦.المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٣١٢.

٥٧.ابن الاثير : الكامل ، ج١٠ ،ص١٢٤-١٢٥.

**********سيف الدولة صدقة بن مزيد ، صاحب الحلةلقب بامير العرب ، دخل في خدمة السلطان السلجوقي ملكشاه ، قتل سنة (٥٠١هـ) .ابن الاثير : الكامل ،ج١٠ ،ص ٤٤٠؛ الذهبي : تاريخ الاسلام ،ج ٣٣ ،ص ٣٢.

٥٨.ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٩ ، ص٤٧-٤٨ ؛ ابن الاثير ، الكامل ،ج١٠، ص١٧٧ ؛حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة ، ص٢٢٢.

٥٩.ابن الجوزي ، المنتظم ،ج١٠ ، ص٣٣ ؛ ابن الاثير : الكامل ، ج٩ ، ص٢٧٢ ؛ ابن الساعي : الجامع المختصر في عيون التواريخ واعين السير ،ج٩ ، ص٦٥.

٦٠.ابن الجوزي ، المنتظم ،ج١٠ ، ص١٠٦.

٦١.المصدر نفسه ، ج١٠ ، ص٢٤٢ .

قائمة المصادر والمراجع

المصادر الاولية

*ابن الاثير ، ابو الحسن علي بن ابي مكرم :(ت ٦٣٠هـ)

١- الكامل في التاريخ(تح:علي شيري ،دار احياء التراث العربي ،بيروت / ٢٠٠٤م).

*الاصفهاني ، عماد الدين محمد بن محمد بن حامد

٢-تاريخ دولة آل سلجوق(مطبعة الموسوعات ،مصر/لا.ت).
*ابن الجوزي ،ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد: (ت٥٩٧هـ)
٣-المنتظم في تاريخ الملوك والامم(مطبعة دار المعارف ، حيدر آباد الدكن /١٩٧٦م)
*ابن خلدون ،عبد الرحمن :(٨٣٠ هـ)
٤- تاريخ ابن خلدون (ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس .الاستاذ خليل شحاده،مراجعة .د.سهيل زكار،دار الفكر للطباعة والنشر،بيروت /٢٠٠١).
* ن خلكان ، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد:(ت ٦٨١هـ)
٥- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان (تح :احسان عباس ،دار الثقافة ن بيروت /لا.ت).
*الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان :(ت ٧٤٨هـ)
٦- تاريخ الاسلام (تح:د عمر عبد السلام تدمري،ط ١، دار الكتاب العربي ، بيروت /١٩٨٧م).
٧- سير اعلام النبلاء (تح : شعيب الارناؤوط ،مؤسسة الرسالة ، بيروت / ١٩٩٣م).
٨- العبر في خبر من غبر(تح : محمد بن السعيد البسيوني، دار الكتب العلمية/ لا.ت).
*الزبيدي ، محب الدين محمد مرتضى:(١٢٠٥هـ):
٩-تاج العروس (دار صادر ،بيروت /١٩٦٦م).
*ابن الساعي ، علي بن نجيب :(ت٦٧٤هـ):
١٠- الجامع المختصر في عيون التواريخ واعين السير(تخ:مصطفى جواد، المطبعة السريانية الكاثوليكية، بغداد /١٩٣٤م).
* سبط ابن الجوزي ،ابو المظفر شمس الدين يوسف بن قرادغلي:(ت٦٥٤هـ)
١١- مرآة الزمان في تاريخ الاعيان (تح: فرنسس كرنكو ،حيدر آباد الدكن /لا.ت).
*السيوطي ، جلال الدين عبد اللرحمن بن ابي بكر بن محمد :(ت٩١١هـ)
١٢-تاريخ الخلفاء (مطبعة منير ، بغداد /لا.ت).
*ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا :(ت٧٠٩هـ):

١٣- الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية (دار صادر ، بيروت / لا.ت).
*الكتبي ،محمد بن شاكر :(ت٧٦٤هـ):
١٤-عيون التواريخ(تح: فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم، بغداد /١٩٧٧ م).
*ابن كثير ، عماد الدين اسماعيل بن عمر :(ت٧٧٤هـ):
١٥-البداية والنهاية (مطابع دار البيان الحديثة ، القاهرة /٢٠٠٣ م).
*ابن منظور ، جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم :(ت٧١١هـ)
١٦-لسان العرب (دار صادر ، بيروت /١٩٦٨ م).

<u>المراجع الحديثة</u>

*امين ، حسين
١٧- تاريخ العراق في العصر السلجوقي،مطبعة الارشاد،بغداد/١٩٦٥م
*احمد،محمود حسين واحمد ابراهيم الشريف
١٨- العالم الاسلامي في العصر العباسي الاخير،القاهرة/١٩٦٦م
*حلمي ، احمد كامل الدين
١٩-السلاجقة في التاريخ والحضارة، دار البحوث العلمية ، الكويت /١٩٧٥م
* الخضري ، محمد
٢٠-محاضرات تاريخ الامم الاسلامية (الدولة العباسية)، تح :ابراهيم امين محمد،دار التوفيقية للطباعة/لا.ت
*فوزي، فاروق عمر
٢١-تاريخ العراق في عصور اللخلافة الاسلامية ،الدار العربية للطباعة، بغداد /١٩٨٨م
*القزاز ، محمد صالح
٢٢-الحياة السياسية في العصر العباسي الاخير(٥١٢-٦٥٦ه)، مطبعة القضاء ، النجف ١٩٧١م .